وجففت هيلانة دموعها بسرعة وغدت ملكة روسيا النشيطة . وفي خلال أسبوع واحد كان الأمير يوري قد تم اعتقاله ، فلو ان الزواج الثاني لقاسيلي الثالث لم يتم لكان يوري قد أصبح هو الدوق الكبير . وكان يوري في سن ناضجةويتمتع بخبرة كما يتمتع بمحبة النبلاء . وكان قد أقسم يمين الولاء للطفل إيڤان الذي سد عليه الطـريق ولكـن اندريه شويسكي وعدداً من النبلاء كانوا يريدون أن يفسخ قسمه ويستولي على السلطة . أما أن يكون يوري غير راض فهذا أمر اكيد ، ولكن احداً ماكان يدري الى أين سيقوده هذا الاستياء . وهكذا اتخذت الوصية هيلانة قرارها الحازم وأوقفت ايضاً كلاً من الأميرين ايڤان شويسكي وإيڤان بييلسكي وأوصدت عليهما أبواب السجن .

وكان ينبغي بحسب طبيعة الأمور أن يكون ميشيل غلينسكي هـو السيد الحقيقي وأن تكون هيلانة حاكمة بالاسم على إمارة موسكوفيا ، ولكن موت قاسيلي أذاع سراً كان خافياً من قبل هو أن هيلانة كانت عشيقة للأمير إيڤان أوبولينسكي . وكانت هيلانة حرة الإرادة مندفعـة وحازمة فأرادت الا تخضع لنصائح وصيها القديم والا تعود الى سنوات طفولتها ، فدفعت بذلك أوبولينسكي الى المقام الأول ليقف في وجـه العم المزاح .

وقد رأى غلينسكي كما رأى معه ميشيل فورنتسيف ونبلاء آخرون في حكم امرأة ضعيفـة فرصة مناسبة للقفز الى السلطة ، ولهـذا لم يعارضوا في وضع يوري في غياهب السجن لأنهم بذلك قد تخلصوا منه . ولكن ترفيع أوبولينسكي الى المقام الأول فاجأهم مفاجأة مزعجة . وكان الأمير اندري أخـو قاسيلي المفضل مستاءاً أيضاً . وكان قـد بقي في موسكو من أجل الاحتفالات الجنائزية التي تجري بعد أربعين يوماً من الوفاة وصلى من أجل راحة قاسيلي الأبدية . وقد طلب من هيلانة أن تمنحه مزيداً من الأراضي ولكنها لجأت الى إشغاله ببعض الهدايا كالفراء والكؤوس والخيول والسروج ثم ذهب في سبيله الى ممتلكاته في ستاريتسا حيث كان يرتفع حصن منيع . وكان منكسر الخاطر من مكانته الهزيلة